

ندوات تلفزيونية - قناة اليرموك - ربيع الإيمان - الحلقة (١٩) : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٧-٠٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

أعزائي المشاهدين ؛ مرحباً بكم إلى حديقة ربيع الإيمان ، مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، في حلقة جديدة ، أهلاً وسهلاً فضيلة الشيخ .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ، ونفع بكم .

المذيع :

والآن مع شجرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما تكون شجرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي سياج ربيع الإيمان أليس كذلك سيدي ؟ ما هو الأمر بالمعروف ؟ ما معناه ؟ ما حكمه ؟

الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ طالب بادئ ذي بدء قبل أن أعرف بالمعروف أريد أن أنوه أن الله عز وجل في قرآنه الكريم - والشيء الذي ورد في القرآن الكريم في أعلى درجة من المصادقية والصحة - ذكر أن هذه الأمة التي ننتمي إليها هي خير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة آل عمران : ١١٠]

ولعل بعض المفسرين فسر كنتم بمعنى أصبحتم ، أي أصبحتم بهذه الرسالة خير أمة أخرجت للناس ، ما دمنا نقدر هذه الرسالة ندخلها في حساباتنا ونطبقها فنحن خير أمة ، فإذا تركناها أصبحنا أمة كأبي أمة خلقها الله ، لذلك معنى كنتم في هذه الآية بمعنى أصبحتم ، لأن الله عز وجل اختار هذه الأمة لتكون وسيطاً بينه وبين الخلق ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

[سورة البقرة: ١٤٣]

الله عز وجل اختار هذه الأمة كي تكون وسيطة في نشر دينه إلى أرجاء المعمورة وهذه معنى الوساطة .

المذيع :

دكتور كنا نعرف وسطاً أي عدل الأمم .

الدكتور راتب :

وهذا من معاني الوسط ، التوسط ، أن يكون وسيلة ، فالله بنص القرآن الكريم وصف هذه الأمة بأنها خير أمة لأنه اختارها وسيطة بينها وبين خلقه .

المذيع :

علة الخيرية هي الوساطة .

الدكتور راتب :

أن تنتشر هذا الدين في أرجاء الأرض ، الله عز وجل حينما اختارنا أن نكون دعاة إليه ليس في شعوبنا بل في شعوب الأرض هذه مرتبة عالية جداً ، والذي يعتصر القلب أن هذه الرسالة التي أناطها الله بهذه الأمة أحياناً هناك من يقصر في أدائها ، أو هناك من يتنكر لها ، أو هناك من لا يعبأ بها ، وهذا من علامات آخر الزمان ، على كل هذا الواجب على كامل الأمة فإذا قام به البعض أنعم وأكرم بهؤلاء البعض الذين قاموا بهذه الرسالة .

المذيع :

هل يسقط عن الآخرين ؟

الدعوة إلى الله فرض عين أو فرض كفاية :

الدكتور راتب :

لا يسقط ، طبعاً إذا قام به البعض ، هذا شيء يقودنا إلى موضوع دقيق جداً ، هو أن الدعوة إلى الله إما أنها فرض عين أو فرض كفاية ، الحقيقة التبحر في الدين ، والتعمق في الدين ، والقدرة عن الإجابة عن أي سؤال في الدين ، والقدرة على ردّ الشبهات في الدين ، هذه المهام إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، هذه الدعوة إلى الله التي تعد فرض كفاية ، أما الدعوة إلى الله التي ينبغي أن تكون فرض عين فهذه على كل مسلم من دون استثناء في حدود ما يعلم ومع من يعرف ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

بشكل مبسط إنسان مسلم حضر خطبة جمعة ، الخطيب عالج موضوعاً بعمق ، فتأثر هذا المصلي تأثراً بالغاً ، هذا المعنى الذي جاء به الخطيب ينبغي أن ينقله المصلي إلى بيته ، إلى زوجته ، إلى أخوانه ، إلى أصدقائه ، إلى أصحابه خلال أسبوع ، هذه الدعوة إلى الله كفرض عين أن تنقل من الحق ما سمعته أو ما وصل إليك ، أي إنسان داعية أنا حينما أوقن أن الدعوة إلى الله فرض عين قد تقول لي : أين الأدلة ؟ أقول لك : قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ ﴾

[سورة العصر : ١-٣]

التواصي بالحق في هذه السورة سورة العصر ربع أركان النجاة ، ، إن الإنسان لفي خسر أي خاسر لا محال ، هذا الإنسان خاسر بنص الآية ، لم يا ربي هو خاسر ؟ قال : لأن مضي الزمن يستهلكه ، الإنسان متى يستطيع أن يحقق نزعة عميقة فيه وهي الاستمرار ؟ كل إنسان جبل على حبّ وجوده وعلى حبّ سلامة وجوده وعلى حبّ كمال وجوده وعلى حبّ استمرار وجوده ، الاستمرار مع الموت مستحيل ، لكن الإنسان يستمر إذا عرف الله ، فإذا جاءته المنية ، المنية نقطة على خط بياني صاعد باتجاه الجنة ، فالإنسان هو بسعادة كبرى ، هذه السعادة متنامية حتى بعد الموت ، فكأن الخط البياني للمؤمن خط صاعد ، وموت هذا المؤمن نقطة على هذا الخط ، بينما خط الآخر صاعد في الدنيا صعوداً مادياً ، جمع ثروة طائلة ، اعتلى منصباً رفيعاً ، حقق مباحج الحياة ، وصل إليها بأكملها ، لكن الموت نهاية ، الموت سقوط لهذا الخط البياني مريع ، فرق كبير بين أن يكون خطه البياني صاعداً صعوداً مستمراً والموت نقطة على هذا الخط ، وبين أن يكون هذا الخط البياني الصاعد منكسراً فجأة إلى لا شيء .

المذيع :

دكتور ممكن أن نقول إن بالمعروف والنهي عن المنكر كما تفضلتم هو علة هذه الخيرية ، هل يوجد أسماء أخرى لهذا العلم تكون أقرب إلى نفس وعقل المدنية الحديثة ؟

فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الدكتور راتب :

حينما تشيع الحرية في مجتمع ما فالمواطن ينتقد نقداً بناء ، ينتقد نقداً إصلاحياً ، ينتقد نقداً هدفه كمال الحياة ، فحينما يسمح للمواطن أن يقول رأيه بحرية لا شك أن الأصلح يحل محل الأسوأ بهذا الطريقة .

المذيع :

يمكن أن يقال إن فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توسيع نطاق الحرية أو توسيع دوائر الحق ؟ هل يمكن أن يقال هذا ؟

الدكتور راتب :

أنا أقول : بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتوسع دوائر الحق ، فإذا توسعت ضيقت دوائر الباطل ، هناك حق و باطل .

الحقيقة الدقيقة ليست البطولة أن يلغى الباطل في المجتمع البشري ، الباطل قديم لكن البطولة ألا ينفرد الباطل في الساحة ، ما دام هناك حق ، ما دام هناك بؤرة للحق ، نقطة ضوء للحق ، هذه تنتمي ، وإذا تنامت ضيقت دوائر الباطل ، لذلك هذا المجتمع من أجل أن ينمو لا بد من تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا بد من وجود حرية تسمح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المذيع :

دكتور القانون الذي تعيش به أو هذه المنظومة الأخلاقية والثقافية والاجتماعية التي تعيشها الأمة يجب أن تكون متضمنة لمساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ...))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

تغيير المنكر يكون على مستويات ثلاثة :

الدكتور راتب :

لكن هذا الحديث دقيق جداً بمعنى أن تغيير المنكر يكون على مستويات ثلاثة ؛ الذي يملك السلطة لا يقبل منه إطلاقاً أن ينكره بلسانه ، فضلاً عن قلبه ، أما الذي يملك السلطة فواجب عليه وجوباً قطعياً أن يغيره بيده ، بيده السلطة ، لكن العالم ليس معه سلطة عليه أن يغيره بلسانه ، لكن الذي لا يملك سلطة ولا علماً ورأى منكراً فليغيره بقلبه .

المذيع :

وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان .

الدكتور راتب :

كأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل تفعيل الأمر بالمعروف سبب بقاء الأمة ، سبب نهضتها ، سبب قوتها ، لأنه ما دام هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر هناك حيوية ، الأمة تتمتع بالحياة، متى تموت الأمة ؟

المذيع :

لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها " .
أعذر من المقاطعة مع فاصل ..

أعزائي المشاهدين ؛ مرحباً بكم مرة أخرى في الحديث عن سياج ربيع الإيمان ، الذي يحمي أشجار الإيمان الباسقة فروعها ويراعمه الجميلة و أزهاره البديعة ، نعود للحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ما معنى المعروف ؟ وما معنى المنكر ؟

قوة الأمة و حيويتها و استمرارها في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

الدكتور راتب :

لكن مرة ثانية ؛ هذه الخيرية التي وردت في كتاب الله رُبطت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الشيء الذي يربط بتفوق الأمة شيء كبير جداً ، معنى ذلك حيوية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قوة الأمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، استمرار الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كيف ربط الله عز وجل في قرآنه الكريم خيرية هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانة كبيرة جداً فوق التصور ، يبدو بهذه الفريضة من الله عز وجل تحيا الأمة ، تتقدم الأمة ، تزدهر الأمة ، تضعف السلبيات في الأمة ، الأخطاء تتلاشى ، لأن هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وهذه فريضة الله عز وجل جعلها من خصائص هذه الأمة .

المذيع :

دكتور هذه صفة ليست تكميلية بل هي ضرورية أصيلة في حياة الأمة .

تعريف المعروف :

الدكتور راتب :

لكن الذي يلفت النظر ما المعروف ؟ شيء معروف ، ما معنى معروف ؟ أرى - والله أعلم - أنه هو تطابق منهج الله مع فطرة الإنسان تطابقاً تاماً مئة بالمئة ، فأمر أمرنا الله به فطرنا على محبته ، وأي نهى نهانا الله به فطرنا على كراهيته .

المذيع :

دكتور هنيئاً للمشاهدين هذه أول مرة أسمع تعريف المعروف بهذه الطريقة الجميلة .

الدكتور راتب :

أي تعرفه الفطر السليمة من دون تعليم ، مثلاً إنسان يرعى أمه قبل الشرائع ، وقبل التوجيهات ، و قبل الآيات ، وقبل الأحاديث ، وقبل السير ، وأفعال الصحابة ، هذا شيء بالفطرة .

لذلك قالوا : الإسلام دين الفطرة ، تطابق الدين مع الفطرة تطابق تام ، ما الفطرة ؟ الله عز وجل حينما خلق الإنسان خلقه على خصائص ، الدليل القرآني :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾

[سورة الشمس : ٧]

كيف سوى الله النفس ؟ سواها على حبّ الخير ، على حبّ العدل ، على حبّ الإنصاف ، على حبّ الرحمة ، على الحب .. الكلام الدقيق الفطرة لا تعني أن تكون رحيماً ، تحب الرحمة ، لا تعني أن تكون عادلاً لكن محبة العدل ، هناك دليل مضحك ؛ اللصوص حينما يسرقون يقتسمون بالعدل ، فلذلك قضية الفطرة شيء مهم جداً ، الله عز وجل جبل الإنسان ، برمجه ، بالتعبير المعاصر ولفه ، فطره ، أي شيء أمر الله به أنت مبرمج على تقديره ، هناك خارطة نافرة ، الآن يوجد خرائط من البلاستيك ، خارطة مجسمة ، لو أحطاناها بإطار خشبي وصببنا فوقها جبصين سائل فلما جف هذا الجبصين السائل أصبحت مطابقة للخريطة على مستوى عشر الملي تطابقاً تاماً ، وأنا أو من أن الفطرة البشرية متطابقة تطابقاً تاماً مع منهج الله ، أي أمر أمرك الله به لو طبقت تترتاح ، وهذا يفسر سرّ الراحة النفسية الكبرى حين يطيع الإنسان ربه ، لأنه اصطلح مع فطرته ، تماماً كما أن مركبة صممت لطريق معبد ، كل ميزاتها من صوت ناعم ، من سرعة عالية ، من انسيابية في السير ، كل هذه الخصائص لا تظهر إلا بالطريق المعبد ، فإذا ركبنا هذه المركبة في طريق وعر ، حفر وأكمامت وصخور سمعت أصواتاً وسمعت تكسيراً ، هذه المركبة مصممة للطريق المعبد ، وأنت أيها الإنسان لك فطرة فإذا اصطلحت مع ريك اصطلحت مع فطرتك ، فإذا طبقت أمر ريك طبقت خصائص نفسك .

المذبح :

دكتور نريد أن نتساءل هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل الناس بنفس المستوى ؟ كيف نفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

ضرورة وجود سلطة تمنع المنكر وتأمّر بالمعروف :

الدكتور راتب :

هناك توجيهات حول هذا الحديث من هو القادر على إنكار المنكر بيده ؟ القوي الحاكم الذي معه سلطة ، الذي يمنع ، الذي يعاقب ، الذي يسجن ، كأن التغيير باليد يتجه إلى القوي الحاكم ، الحاكم من صلاحيته أن يعاقب ...

المذيع :

دكتور كذلك الأب في أسرته ؟

الدكتور راتب :

طبعاً على مستوى الأمة ، الأمة مجموعة أسر ، الأسرة فيها الأب ، الأم ، الأب عندما يرى منكراً من ابنه طبعاً يأمره بتركه فإن لم يتركه يعاقبه ، إذاً لا بد على مستوى الأسرة وعلى مستوى الأمة من سلطة تمنع المنكر وتأمّر بالمعروف .

المذيع :

هذا هل يتعارض مع التربية والرحمة والدعوة إلى الله عز وجل ؟ هناك بعض الناس يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رعاية لمشاعر هذا الإنسان ، أو يقول لك قليلاً قليلاً أريد أن أرحمه .

ميل الإنسان إلى شهواته إن ترك بلا توجيه :

الدكتور راتب :

الإنسان حينما يترك من دون توجيه يميل إلى شهواته ، والشهوات هناك كلام دقيق حولها ، هي حيادية إما أن تكون سلماً نرقى بها إلى أعلى عليين ، أو دركات نهوي بها إلى أسفل سافلين . أنا مرة زرت عالماً جليلاً هو جار لي في السكن ، قال لي : عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم من حفاظ القرآن الكريم ، هو عالم قرآن كبير ، أنا خرجت من عنده قلت : هذا الإنسان تزوج امرأة أنجب أولاداً ، والأولاد جلبوا له الكنائن ، والبنات جلبوا له الأصهار ، الصف الأول هو و زوجته ، الصف الثاني الأولاد والبنات ، الصف الثالث أحفاده ، هذا الهرم المبارك ما سببه ؟ الزواج ، أساسه علاقة جنسية ، هذه العلاقة إما أنها سلم نرقى بها ، الإنسان الصالح يتزوج امرأة صالحة ، أنجب ثمانية وثلاثين حفيداً معظمهم أطباء وحفاظ كتاب الله ، وإنسان آخر يزني ينجب طفلاً لقيطاً ، يدخل إلى المأوى ليس له أب ، ليس له أم ، والمأسي كبيرة جداً ، هذه الشهوة حيادية ؛ سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها ، فإذا عرفنا الله لا يوجد عندنا حرمان هناك رقي ، هذه الشهوة التي أودعها الله فينا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .

المذيع :

دكتور ممكن التربية التي تشمل واجبات المربي في الأسرة ، وكذلك كافة الدوائر المعنية في مسألة التربية ، هي جزء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و هو تعديل مستمر لمسيرة الحياة ؟

من واجبات المسؤول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الدكتور راتب :

أي مجتمع ، الأسرة مجتمع صغير ، المدرسة فيها مدير ومدرسون ، الدائرة الحكومية فيها مدير دائرة و معاونه و موظفون لهم مكانة ، حتى في الجيش ، في الشرطة ، في أي مكان في المجتمع هناك إنسان يرأس مجموعة ، هذا الإنسان ينبغي أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر .
المذيع :

دكتور نأخذ بعض التطبيقات والمشاهد الحية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، موقف سيدنا عمر ؟

تطبيقات ومشاهد حية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الدكتور راتب :

سيدنا عمر يقول : كنت خادم رسول الله ، وجلواذه ، وسيفه المسلول ، توفي وهو عني راضٍ والحمد لله وأنا بهذا سعيد ، ثم كنت خادم أبا بكر ، وجلواذه ، وسيفه المسلول ، وتوفي وهو عني راضٍ والحمد لله كثيراً وأنا به أسعد .

المذيع :

دكتور ما معنى جلواذه ؟

الدكتور راتب :

أي يسوس فرسه . ثم آلت الأمور إليّ ، أيها الناس لكم عليّ خمس خصال خذوني بهم ، لكم عليّ ألا أخذ من أموالكم شيئاً إلا بحقه ، ولكم عليّ ألا أنفق من هذه الأموال شيئاً إلا بحقه ، و لكم عليّ أن أزيد عطاياكم إن شاء الله تعالى ، ولكم عليّ ألا أجركم في البعوث ، وإذا غبتم في البعوث - أي في الجهاد ، له أهل بعثه إلى عند أهله - فأنا أبو العيال حتى ترجعوا - أنا أتولى عيالكم و أهلكم و أولادكم - .

القضية هنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أركان الأمة الإسلامية ، هو في تقدم مستمر ، و هناك تجاوز بكل خطأ ، إن ألغى الخطأ يغلب الكمال ، في أي حقل ؟ في حقل التعليم ، في حقل الطب ، أي شيء في الحياة .

المذيع :

ولذلك الصحابة رضي الله عنهم لم يجدوا بدأ ، لا يوجد إشكالية في قولهم لعمر رضي الله عنه لو رأينا فيك اعوجاجاً لقيمناه بسيوفنا .

تقبل النصيحة من أبرز جوانب القوة في المجتمع :

الدكتور راتب :

المجتمع المسلم المطبق لأمر الله يتقبل فيه الإنسان القوي النصيحة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما المجتمع المنحرف عن منهج الله فيرفض النصيحة .

المذيع :

لا شك تقبل النصيحة من أبرز جوانب القوة وأما إنكار النصيحة ..

الدكتور راتب :

ليس الذي يتقبل النصيحة بأقل أجراً ممن يسديها .

خاتمة و توديع :

المذيع :

دكتور أكرمك الله ، أعذر لأن الوقت كالعادة داهمنا ، أحسن الله إليك دكتور ، كنا نود أن نظل في ربيع الإيمان مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، أعزائي المشاهدين أشكركم شكراً جزيلاً على حسن متابعتكم كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين